تاريخ الأمة القبطية

الحلقة الثالثة

الجزء اليعقوبي

واستقلال مصر

تأليف

لجنة التاريخ القبطي

سنة ١٩٣٥ م — ١٦٥١ ش

مطبعة التوفيق بمصر

www.alkottob.com

www.alkottob.com

« الجنرال يعقوب »

www.alkottob.com

www.alkottob.com

الجنرال يعقوب واستقلال مصر

مصادر الكتاب

اعتمدت اللجنة فى وضع هذه الرسالة على المصادر الآتية : ـ

(١) المصادر العربية:

١ ـ تاريخ مصر الحديث تأليف محمد صبرى سنة ١٩٢٦

٢ ـ عجائب الآثار فى التراجم والاخبار تأليف الشيخ عبد الرحمن الجبرتى

٣ ـ مجلة مصر الحديثة المصورة

٤ ـ تاريخ الأمة القبطية للمرحوم يعقوب بك مخله رفيله

٥ ـ الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس تأليف الاستاذ شفيق غربال سنة ١٩٣٢

٦ ـ ذكر تملك جمهور الفرنساويين الاقطار المصرية والبلاد الشامية تأليف نقولا يوسف الترك

www.alkottob.com

(ب) المصادر الفرنسية

1 Voyage dans la Basse et la Haute Egypte pendant les campagnes du Général Bonaparte par Vivant Denon

2 L'Expédition d'Egypte 1798-1801 par de la Jonquière

3 Le Géneral Abdallah Menou et la dernière phase de l'Expedition d'Egypte 1799-1801 par Georges Regault

4 Lettres sur l'Egypte, par Claude-Etienne-Savary

5 Memoires du Comte Belliard

6 Correspondance de Napoleon 1er.

7 Histoire du Consulat par A. Thiers

8 Journal du canonnier Bricard

9 Le Général Jacob et l'Expedition de Bonaparte en Egypte par Gaston Homsy

10 L'Egypte Indépendante par G. Douin.

www.alkottob.com

كلمة تمهيدية

نبغ من المصريين فى القرن الثامن عشر رجل قبطي من سلالة الشعب المصرى القديم استحق أن يخصص له التاريخ صفحة مجيدة من صفحاته وهو يعقوب يوحنا وقد لقب فيما بعد « بالمعلم » فصار « المعلم يعقوب » ثم « الجنرال يعقوب »

وبعدت شهرة المعلم يعقوب فى عهد احتلال الفرنسويين للديار المصرية (١٧٩٨ — ١٨٠١) فتحدث عنه مؤرخو الفرنسيس وورد ذكره فى المكاتبات الرسمية والوثائق المحفوظة فى وزارتى الحربية والخارجية بباريس وفي هاتين الوزارتين كل مايتعلق بالمعارك الحربية وأسماء القواد والضباط والجنود فهما مرجع صحيح الرواية

ومما يجعل سيرة المعلم يعقوب جديرة بالدرس أنه أول قبطي ألف جيشاً قبطياً بقيادته وكان رفيقاً للقائد (ديسيه) (Desaix) أحد قواد حملة نابوليون وشريكاً له فى حملة الصعيد . وهو كذلك أول رجل من غير الفرنسويين منحته

www.alkottob.com

حكومة الجمهورية الفرنسوية رتبة قائد

يقول المؤرخ نقولا الترك وكان شاهد عيان فى تلك الحملة : « كان عند الجنرال ديسيه من الأقباط المشهورين يعقوب الصعيدي وهو رجل قوى الشكيمة مشهور بالفروسية والهمة العالية وهو الذى كان فى خدمة سليمان بك فلما آنس فيه الشجاعة وظهرت له قوته واستعداده قدمه إلى نابوليون وأطرى اخلاصه فقربه هذا اليه وأعجب ببسالته مما دعى يعقوب إلى تأليف فيلقه »

وأهم من هـذا كله أنه أول مصرى وضع مشروعاً لاستقلال مصر عن الدولة العلية وعن حكم المماليك إذ أرادها بلاداً حرة خالصة لأهلها ولـكن المنية لم تمهله حتى ينال موافقة الدول على هذا الاستقلال

وقد عثر فى السنوات الأخيرة فى محفوظات وزارة الخارجية البريطانية على الوثائق التي تضمنت مشروع الجنرال فنشرها المسيو جورج دوان (George Douin) فى مقدمة كتابه « مصر المستقلة » وقد طبعت باللغة الفرنسوية فى

www.alkottob.com

سنة ١٩٢٤ ثم نشرها الأستاذان توفيق اسكاروس وميخائيل بشاره داود في مجلة مصر الحديثة. وفي سنة ١٩٣٢ نقلها الأستاذ شفيق غربال في مؤلفه باللغة العربية « الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس »

وقد نوهوا جميعاً بفضل الجنرال وأذاعوا للملأ عمله التاريخي المجيد ولهذا رأت لجنة التاريخ القبطي أن تجمع ما تفرق مما كتب عن الجنرال يعقوب وتستخلص زبدته وتزفها إلى القراء مثلا أعلى لحب الوطن والتفكير في خلاصه وتحريره يحتذيه أبناء الوطن ويجدون فيه باعثاً على الفخار والشعور بالكرامة الوطنية. فان تاريخ الأمم التي فازت باستقلالها ليس في الواقع سوى تاريخ فئة من أبنائها الصميميين البارزين كانوا أمثلة في الشجاعة والاخلاص لبلادهم وهم الذين جاهدوا في سبيلها وبنوا صرح مجدها ونسجوا ثوب عزها

---

www.alkottob.com

أولا — نشأة يعقوب

(١) مولده

الرأى الذى أجمع عليه المؤرخون هو أن يعقوب ولد فى مدينة ملوى من أعمال مديرية أسيوط فى سنة ١٧٤٥ ميلادية من أبوين قبطيين وهما يوحنا ومريم غزال ابنة توفيق غزال

وهذا الرأى يعززه ان اخوته وأخواته ولدوا فى ملوى وفيها ربي هو وتعلم العلوم الأولية وفيها تزوج امرأته الأولى واقتنى منزلا . ولما اجتازها الجيش الفرنسوى وهو يطارد مراد بك أراد يعقوب أن يعرّج عليها لكى يحتفل فيها باكرام القائد ديسيه إلا أن هذا كان همه تعقب مراد بك فلم يشأ التوانى فى المسير

www.alkottob.com

٢ — فى الكتّاب

لم يكن بمصر فى ذلك العصر من معاهد التعليم سوى الكتاتيب القبطية يتلقى فيها أبناء القبط القراءة والكتابة وشيئاً من الحساب الابتدائى ويستظهرون المزامير والألحان الكنسية فأدخل يعقوب كتاب بلدته حيث قضى سنيه الأولى كما يقضيها أترابه دون أن يمتاز عليهم أو على سائر اخوته بشىء ما

(٣) اجتهاد يعقوب

ولما كبر يعقوب لم يكتف بما تلقنه من المعارف الاولية فى الكتّاب بل واصل الاجتهاد فى الدرس لذاته فأحرز قسطاً وافراً من اللغة العربية وأجاد كتابة الخط ووعى الأصول الحسابية وكان القبط مشهورين باتقانها. والذى دفعه إلى ذلك ما طبع عليه من جد وطموح للارتقاء وبقوة عزيمته استطاع أن يحرز جانباً من الثقافة ازدادت به معلوماته فساعده ذلك على بلوغ المرتبة الرفيعة التى بلغها فيما بعد

www.alkottob.com

ثانيا — يعقوب فى معترك الحياة

(١) يعقوب الكاتب

وأتم يعقوب العقد الثانى من عمره فألحقه والده كاتباً عند قريب له من المشتغلين بجباية أموال أحد المماليك الذين كانوا يتقاسمون حكم البلاد فى ذلك العصر . وهنا بدأت مواهبه تظهر واكتسب كثيراً من المعلومات الادارية والحسابية ولما طرد على بك الكبير محمد باشا الحاكم العثماني من القاهرة وولي حكم البلاد وقبض على زمام السلطة العليا فيها قرب اليه المماليك الاخرين بالانعام عليهم برتبة البكوية . واتفق فى أثناء ذلك ان التحق يعقوب بخدمة أحد هؤلاء وهو سليمان بك أغا الانكشارية وكان واسع الثروة كثير الممتلكات ولم يمض طويل وقت حتى آنس سليمان بك في يعقوب الأمانة والمقدرة فأولاه ثقته وأقامه مديراً عاماً لماليته

وقد كانت هذه الادارة تقتضى جباية الضرائب والرسوم

www.alkottob.com

الجمركية وايجارات الأراضي الزراعية. ويزيد تعقد هذه المهام اختلاف العملة وتعددها وتغير قيمتها من حين إلى حين فأكسبته خبرة واسعة مالية وادارية أعانته على تأدية المهام التي عهدت اليه فيها الحملة الفرنسوية لما قدمت إلى مصر

(٢) يعقوب الفارسي

وإلى جانب ما تقدم أحرز يعقوب صفات عسكرية ممتازة من مرافقته للمماليك وكانوا ذوي بأس ومعروفين بالفروسية والشجاعة وميالين إلى القتال وقلما كانت تنقطع حروبهم ومناوشاتهم. فمنهم تعلم يعقوب ركوب الخيل وتدرب على الطعن بالسيف

(٣) « المعلم » يعقوب

وكانت مؤهلات يعقوب وكفائته المالية والادارية على النحو الذي كان سائداً في زمانه سبيلا إلى ثروة كبيرة جمعها فأصبح ذا ممتلكات وأموال وخدم وحشم ومستخدمين

www.alkottob.com

والباع فأضيف إلى اسمه لقب « المعلم » وهو لقب كان يعطى فى مصر فى القرون الوسطى للدلالة على الشرف والزعامة ويطلق على كل من يبرز فى علم أو صناعة أو يحرز أموالا وضياعاً

(٤) زواجه

ولما كان يعقوب فى الخامسة والعشرين من العمر تزوج بامرأته الأولى « مختارة الطويل » وهي ابنة عمه وكان عمه رجلا ثرياً ببلدة ملوى له تجارة واسعة وممتلكات كثيرة وقد رزق يعقوب من امرأته هذه ولداً مات طفلا وبعد قليل لحقت به أمه بطاعون ذهبت ضحيته

وبعد انقضاء اثنتي عشرة سنة من وفاة زوجته الأولى تزوج بامرأته الثانية وكانت فتاة سورية من حلب تدعى مريم نعمة الله البابوتجي . ولما قدم القاهرة فى سنة ١٧٩٢ بارك البطريرك الأنبا يؤانس الثامن عشر والمائة والسابع فى عدد البطاركة ـ هذا الزواج ولم يكن قد كتب به عقد

www.alkottob.com

جرياً على العادة المتبعة إلى ذلك الحين إذ كانت عقود الزواج شفوية بالإيجاب وقبول . إلا أن هذا الزواج سجل رسمياً في فرنسا أمام قاضي المصالحات في سنة ١٨١٨ بشهادة شقيقتي يعقوب وشهود آخرين من أصدقاء الأسرة لمناسبة إثبات وفاة يعقوب واحصاء تركته وورثته ومنهم زوجته الثانية هذه

(٥) المعلم يعقوب في التاريخ

وأتاح مجيء الفرنسويين إلى أرض الفراعنة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي للمعلم يعقوب الفرصة لاظهار مواهبه فأصبح عظيما من عظماء التاريخ وذاعت شهرته في الديار المصرية وفي الأقطار المجاورة لها فان الشريف حسن شريف مكة لقبه « بعظيم حملة ديسيه في الوجه القبلي » لما بلغه أنه أرسل جيشاً لتأييد مراد بك وطلب أن يستعد للقتال . كما أن المماليك طلبوا وساطته في الصلح بينهم وبين ديسيه

هذا الرجل المقدام والفارس الشجاع ألقيت على عاتقه مهام لا يستطيع غيره النهوض باعبائها ولكنه أداها على خير ما يرام

www.alkottob.com

وبأفضل أسلوب ابتغاه الوصول إلى تحرير بلاده من نير المماليك والترك

(٦) أعماله المالية والادارية

(١) حملة الصعيد

لما فتح بونابرت القاهرة واستقر به المقام قدم اليه جرجس الجوهرى ـ وكان عميد القبط إذ ذاك ـ أعيان أبناء طائفته وبينهم المعلم يعقوب . فعيّن منهم المعلمين سدره الشماع وبانوب الجيزاوى وجرجس صرابمون وملطي ساروفيم ويوحنا الصولى رؤساء المالية فى بعض المديريات

أما يعقوب فقد احتفظ به لما هو أهم من ذلك . فانه لما لجأ المماليك إلى الصعيد فكر بونابرت فى القضاء عليهم فجهز حملة بقيادة الجنرال ديسيه ولما كانت هذه الحملة بحاجة إلى رجل أمين يجمع فى شخصه الصفات العسكرية والادارية وله خبرة تامة بالبلاد التى تجتازها الحملة والمام تام بكيفية جمع ماتحتاج اليه من مؤن وقع اختياره على المعلم يعقوب فعينه مديراً عاماً للحملة

www.alkottob.com

وكان المعلم يعقوب عند حسن ظن بونابرت به فجهز للحملة المؤن والذخائر وأمّن لها طرق المواصلات ورتب حركاتها وعين مواضع اقامتها ونظم الشؤون المالية والادارية على الوجه الأكمل وساعده على ذلك ما كان له فى نفوس أهل البلاد من منزلة رفيعة بدليل قول الضابط بليار « أن الشعب كان ينظر إلى يعقوب كأنه السلطان الأعظم والقائد العام الذى احتل الصعيد »

وقد نهض يعقوب وحده باعباء تموين الحملة والجيوش المتفرقة على طول النيل وليس ذلك فقط بل نهض أيضاً بادارة مالية الوجه القبلى كله من توزيع الضرائب وجبايتها والتوفيق بين الأوامر الادارية الجديدة التى كان يصدرها الجنرال ديسيه والأنظمة القديمة المألوفة فى البلاد

هذه المقدرة الفائقة جعلت للمعلم يعقوب كلمة مسموعة فى الشؤون الادارية والمالية. ومن أدلة ذلك أنه لما كان الجنرال بليار يتولى الاشراف على جباية الضرائب تأخر أهل قرية من قرى بني سويف عن تسديدها فقبض على بعض من

www.alkottob.com

مشايخها رهينة عنده واتفق ان المعلم يعقوب وصل إلى بني سويف آتياً من مديرية الفيوم بصحبة الجنرال ديسيه بعد اخضاعها وعلم بالأمر فاحتج بشدة على تصرف بليار ونصح باستعمال الاناة فى الجباية والكف عن ارهاق الأهلين واخلاء سبيل المشايخ المرتهنين ، فأقره الفرنسويون وفى مقدمتهم ديسيه على رأيه وعملوا بنصيحته

وكان المعلم يعقوب عماد حملة الصعيد ودعامتها وقد ثبت ذلك مما حدث بعد عودته إلى القاهرة مع القائد ديسيه فان بليار الذى حل محل ديسيه فى قيادة الحملة كتب اليه باعادة المعلم يعقوب سريعاً لأن الحملة بعد سفره لاقت صعاباً جمة في تدبير قوتها اليومي

ولا شك فى أن الأيام الكثيرة التى قضاها القائد ديسيه مع المعلم يعقوب إلى ذلك الحين هي التي يسرت له الوقوف على ما كان ليعقوب من مواهب فوطن عزمه على وضع خطة لحملة تسير حتى النوبة لاتمام اخضاع الوجه القبلى واحتلاله ونفذت هذه الخطة وأتمت الحملة مهمتها فبددت شمل المماليك

www.alkottob.com

وعاد ديسيه إلى أسيوط واتخذها مركزاً عاماً للقيادة ومعه المعلم يعقوب وكبار ضباطه

(٢) مع كليبر

وحدث أن بونابرت غادر البلاد المصرية الى فرنسا بدعوة من حكومة الديركتوار فسلم قيادة الجيش الى الجنرال كليبر وهذا تولى تنظيم المصالح اداريا وماليا وحينئذ ذكر ديسيه المعلم يعقوب ووجوب الانتفاع بخبرته ومقدرته فأوحى بذلك إلى الجنرال كليبر فطلب منه الاشتراك معه فى هذا العمل ومعاونته فى تنفيذ مشروعاته فقبل ذلك ونهض بما عهد اليه فيه وجمع حوله مساعدين أحسن اختيارهم وجعل مكتبه فى منزل البارودى وأدار الأمور إدارة حسنة بما خول له من سلطة واسعة وكانت اختصاصاته تشبه اختصاصات وزير المالية في أيامنا هذه

وبعد انتصار كليبر فى معركة هليوبوليس (عين شمس) على الترك فى ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ واخماد ثورة القاهرة

www.alkottob.com

التي نشبت وقتئذ دخل الجنرال كليبر القاهرة ظافراً وفرض غرامة مقدارها ١٢ مليوناً من الفرنكات على سكانها وعهد إلى المعلم يعقوب فى جبايتها وخوله السلطة المطلقة لذلك فاستعمل الحكمة فى تحصيلها دون ارهاق الاهلين فى ذلك

وذكر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي فى تاريخه أنه عهد الى يعقوب غير ماتقدم فى أعمال أخرى ادارية ومالية فكان يؤديها بسلطان مطلق

(٣) فى مواصلات الحملة

لما أتمت حملة الوجه القبلي مهمتها باخضاع الصعيد بأكمله الى اسوان التمس ديسيه وهو عائد إلى أسيوط وسيلة يتصل بها بجنوده المتفرقين فى البلاد على طول النيل اتصالا مستمراً وسريعاً للمحافظة على الامن وكاشف المعلم يعقوب بذلك فوعد بالتفكير في الامر ولما وصل الى اسنا خطر له أن ينظم فرقة من السعاة الهجانة تتولى أعمال البريد وكانت هذه هى الوسيلة الوحيدة السريعة فى ذلك الوقت .وفى خلال

www.alkottob.com

أسبوع قضاه فى إسنا دبر الرجال والهجن اللازمة ووزع الفرقة على المسافات فأعجب الجنرال ديسيه بالفكرة لانه جعله على اتصال دائم بجنوده فى الشمال والجنوب فكان يرسل الجرحى إلى القاهرة ويتزود منها بالميرة والذخيرة

أعمال الحربية

(١) مع المماليك

في سنة ١٧٨٦ أى قبل مجىء نابوليون بسنتين وقبل حملة الصعيد بنحو اثنتى عشرة سنة كان يعقوب يشترك مع المماليك فى حروبهم وغزواتهم كما تقدمت الاشارة إلى ذلك ومما يذكر عنه أنه رافق مراد بك فى محاربته للترك وشهد الموقعة التى دارت رحاها بالقرب من المنشية من أعمال مديرية أسيوط وكان له نصيب من النصر الذى أحرزه مراد بك

ومما يدل على أن يعقوب تدرب على فهم الأصول والقواعد العسكرية انه عندما وصلت جنود حملة الصعيد إلى

www.alkottob.com

المنشية حيث دارت المعركة المشار اليها أخذ يصف للجنرال ديسيه وأركان حربه كيف انكسر الترك. ويقول فيفان دينون وكان بين المستمعين للقصة أن يعقوب وان لم يتكلم عن نفسه فى الوصف الدقيق للموقعة فهم الجميع أنه كانت له يد فى هذه الموقعة وأثنوا عليه

(٢) مع الفرنسويين

ومن أعمال يعقوب الحربية مع الفرنسويين أنه كان ذات يوم سائراً فى طليعة الجيش الفرنسوي الذى يتجسس مكان العدو وكان ممتطياً جواداً مع الفرسان وقد علّق فى رقبته على الطريقة العربية سيفاً مرصعاً ووضع أمامه على السرج بندقية وفى منطقته غدّارتين واستمرت الطليعة سائرة إلى أن غابت عن أنظار الجيش وبلغت عين القوصية عند بلدة العتامنة من أعمال مديرية أسيوط وهناك وجدت الطليعة نفسها بغتة أمام جمع من الأعداء ففى هذا الظرف الدقيق لم يفقد يعقوب رباطة جأشه بل تقدم وانتضى سيفه وفعل أفراد حاشيته مثله

www.alkottob.com

وأخذوا والخطر محدق بهم يقاتلون عدواً يبلغ عشرة أمثالهم وما فتىء يعقوب يقاوم العدو ببسالة ويصمد له إلى أن وصل ديسيه إلى العتامنة على أثر علمه بأن خطراً يتهدد مقدمة جيشه فما رآه العدو حتى ولى الأدبار ونجا يعقوب من الخطر فأسرع ديسيه اليه وهنأه ببسالته وأهدى اليه سيفاً تذكارياً

(٣) الفيلق القبطي

وحسب يعقوب حساباً للطوارىء بعد ماشعر أن مصر محرومة من جيش وطني يمكن الاعتماد عليه فى الملمات ففكر في تأليف فرقة قبطية وطلب ذلك من الفرنسويين فرخصوا له بتأليفها فجمعها من شبان من أهل الصعيد عملوا فى الجيش الفرنسوى صناعاً وعمالا وكانوا نحو ألفين ووكل أمر تدريبهم على الحركات العسكرية إلى ضباط انتقاهم كلبير لهذا الغرض فأظهروا براعة فى تعلم هذه الفنون

www.alkottob.com

وضمّ يعقوب إلى الألفي شاب شباناً آخرين فتألف منهم الفيلق القبطي ولكن معظم هؤلاء الشبان عادوا بعد ذلك إلى قراهم ولم يبق منهم سوى ٧٠٠ أو ٨٠٠ مقاتل تولى يعقوب قيادتهم وجهزهم بالسلاح والميرة من ماله الخاص ولما توفى تولى القيادة بعده الكولونيل غبريال سيداروس ابن أخيه كما سيأتي بيانه وقد ترك لنا التاريخ شهادتين من رجال الحملة الفرنسوية تثبتان تأليف هذا الفيلق وما بذله يعقوب من المال في هذا السبيل

الشهادة الاولى

وهي صادرة من أعضاء مجلس الديركتوار السبعة ومذيلة بشهادة اليوزباشي جيرال Giral المكلف بملابس الجيش وهي : —

www.alkottob.com

جيش الشرق – الفيلق القبطي

قائمة ببيان ماورده الكولونيل غبريال الذى حل محل الجنرال يعقوب قائد الفيلق القبطي من ملابس وسلاح لهذا الفيلق :–

عدد	
٨٥٠	قميصاً وبنطلوناً
٧٥٠	صدرية وطاقية وبرنيطة
٨٠٠	جبخانة
١٠٠	سنجة
٣٠	مدفعاً
١٨٠	حصيرة
٢	علمان

وقيمتها جميعها ١٩٠٠٠ فرنك يضاف اليها ٤٦٥ فرنكا ثمن أشياء أخرى فالجملة ١٩٤٦٥ فرنكا

ونحن الموقعين على هذا أعضاء مجلس الديركتوار نشهد

www.alkottob.com

بناء على المستندات المقدمة الينا و بناء على مالدينا من المعلومات بأن المال الذى دفعه الكولونيل غبريال بصفته المذكورة أعلاه بلغ تسعة عشر ألفاً واربعمائة وخمسة وستين فرنكا

حرر فى مرسيليا فى ٧ بلوفيوز سنة ١٠ (٢٧ يناير سنة ١٨٠٢)

توقيع الأعضاء السبعة لمجلس الديركتوار

« أنا يوزباشى الملابس أشهد منذ تعييني بأن المهمات الموضحة بعاليه كانت موجودة بالفيلق

يوزباشى الملابس

الامضا « جيرال »

الشهادة الثانية

كتبها بونيه «Bonnet» قوميسير الحروب وأقرها مينو « Menou » القائد العام لجيش الشرق وكان فى مرسيليا وقت كتابتها وهذا نصها : ـ

« أنا قوميسير الحروب بعد الاطلاع على الطلب

www.alkottob.com

المقدم الينا بواسطة القائد العام مينو وعلى بيان المهمات والمستندات المؤيدة له وعلاوة على مالدينا من المعلومات أشهد بأنه فى وقت تنظيم الفيلق القبطي الذى كنت مكلفاً به كان معظم رجال الفيلق حاصلين على ملابسهم وأسلحتهم وأنه لم يصرف لهم شيء من أموال الحكومة وان مبلغ ١٩٤٦٥ فرنكا أنفقه الكولونيل غبريال الذي حل محل الجنرال يعقوب قائد الفيلق القبطي »

تحريراً بمرسيليا فى ٧ بلوفيوز سنة ١٠ (٢٧ يناير سنة ١٨٠٢)

الامضاء « بونيه »

نظر ✓ القائد العام لجيش الشرق

الامضاء : « جاك عبد الله مينو »

---

(٤) فى ثورة القاهرة

فى أثناء معركة هليوبوليس (عين شمس) وهي التى دارت رحاها بين الجيش التركي بقيادة ناصف باشا والجيش الفرنسوى بقيادة كليبر العامة في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠

www.alkottob.com

دخل إلى القاهرة خلسة كثير من أفراد الجيش التركي وأخذوا يحرضون الأهلين على رفع راية العصيان واعلان الثورة في وجه الفرنسويين فأثمرت دعوتهم ونشبت الثورة فعلا ودامت من ٢٧ مارس إلى ١٥ ابريل سنة ١٨٠٠ وكانت نار هذه الثورة توشك أن تلفح القبط بشواظها لولا ان يعقوب كان غنياً وشجاعاً فأحسن الدفاع عنهم وأنقذهم . إذ أظهر في تلك الظروف العصيبة مقدرة عظيمة واستيقظت فيه الروح الحربية فحصّن منزله في الدرب الواسع المجاور للميدان وثبت إلى النهاية أمام حصار شديد كان فيه خصمه اللدود حسن بك الجداوي واستهدف لكل خطر وهو على رأس عسكره يشجعهم بأقواله الحماسية وأعماله الباهرة

وكان حي القبط في الأزبكية محصوراً بين القلعة التي أنشأها يعقوب بجوار الجامع الأحمر من جانب وقنطرة الدكة من جانب آخر . فهدم يعقوب بعض الدور التي في آخر شارع القبيلة من جهة قنطرة الدكة وجعل منها حصناً ليكون الحيّ بين القلعة وهذا الحصن

www.alkottob.com

وفى هذا الصدد قال المرحوم يعقوب بك نخله رفيله صاحب تاريخ الأمة القبطية ص فى ٢٩٤ مايأتى : —

« قيل أن بعض الثائرين هجموا على جهة شارع القبيلة المعروف الآن بالسوق الكبير وسوق النصارى من نقطة كانت مهملة ودخلوا درب الجنينة وأغلقوا البوابة ووضعوا وراءها أحجاراً فأسرع يعقوب لانقاذ من بها بطريقة لم تخطر على البال وذلك بأن أخرج من معاصره (للزيت والسيرج) ومعاصر غيره التى بجهة الجامع الأحمر جميع خول الجاموس وأوقفها أمام البوابة وحصرها بين قوتين من العسكر وأمر الجنود بأن يرشقوا أجسامها بأسنة الرماح فتزاحمت على البوابة فزحزحت الأحجار التي وراءها وانفتحت فدخلت الجنود وقبضوا على الثائرين »

قلعة يعقوب

وقال أيضاً فى ص ٢٨٩ : —

« هذه القلعة بناها يعقوب بجوار الجامع الأحمر وكانت كما مرّ القول الحصن الشرقى لحيّ القبط فى أثناء ثورة القاهرة »

www.alkottob.com

وذكر هذه القلعة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي فقال : « وبنى له (أي يعقوب) قلعة وسوّرها بسور عظيم وأبراج وباب كبير تحيط به بدنات عظام وكذلك بنى أبراجاً في ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية وفي جميع السور المحيط والأبراج طيقاناً للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذي رممه الفرنساوية ورتب على باب القلعة الخارج والداخل عدة من العسكر اللازمين للوقوف ليلاً ونهاراً وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية »

وقال المرحوم يعقوب بك نخله رفيله في ص ٢٨٩ « انه شاهد بعينه آثار هذه القلعة قبل هدمها في أيام المرحوم اسماعيل باشا خديو مصر »

قرض قبطي للجمهورية الفرنسوية

لما عين الجنرال مينو القائد العام المسيو استيف (Stéves) مديراً عاماً لايرادات الدولة احتاج إلى خدمات المعلم يعقوب فجعله مستشاراً له . وفرضت ضرائب جديدة إلا أن الأموال

www.alkottob.com

التي جبيت من الأهلين لم تسد حاجة الجيش وما كان يجب انفاقه في الوقت عينه من المال على المشروعات والأعمال العامة في بلاد القطر . فاضطر القائد مينو إلى أن يعقد قرضاً بمليون ونصف مليون من الفرنكات وفاوض المعلم يعقوب في شأنه

فاتفق يعقوب مع أربعة من زملائه وهم المعلمون : جرجس الجوهري وأنطون أبو طاقية وفلتاؤوس وملطي على أن يقدم كل منهم ٣٠٠ ألف فرنك وقدموها فعلا على أن تخصم من الضرائب المطلوبة من المديريات الداخلة في دائرة اختصاصهم الاداري وأعطاهم أستيف سندات بقيمتها على الخزانة الفرنسوية

الهدايا والانعامات ليعقوب

(١) اهداء يعقوب سيفاً

تقدمت الاشارة إلى أنه في مساء اليوم الذي كان فيه يعقوب يخاطر بحياته وهو في طليعة جيش الجنرال ديسيه عند

www.alkottob.com

بلدة العتامنه قدم اليه ديسيه سيفاً فخرياً وكان ذلك عند محطة بني سند بحضور كبار قواده وضباطه وسائر الجيش ونقشت على السيف هذه العبارة « معركة عين القوصية » اعلاناً بفضل يعقوب في هذه الموقعة فى يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٧٩٨ ولا يزال هذا السيف محفوظاً عند الباقين من أفراد أسرته

(٢) الهراء يعقوب كسوة شرفية

أهدى الجنرال بونابرت إلى يعقوب عباءة من الفرو وكانت عادة الشرقيين فى تكريم الأشخاص الممتازين اهداءهم كساوى تشريفية فجرى بونابرت على هذه العادة وكان يهدى العباآت باحتفال خاص ويعقوب هو أول من سلمه بونابرت بيده عباءة بعد جرجس الجوهرى

(٣) شرقية يعقوب الى رتبة كولونيل

ولما ألف يعقوب الفيلق القبطى سنحت للفرنسويين فرصة يظهرون فيها امتنانهم منه فرقاه الجنرال كليبر

www.alkottob.com

الى رتبه كولونل (اميرالاى) فى حفلة عسكرية فخمة أقيمت فى أوائل مايو سنة ١٨٠٠ وأمر بأن يكون له حرس شرفى يرافقه فى تنقلاته ويقف أمام داره وأعطيت له براءة هـذه الرتبة في ١٠ أغسطس سنة ١٨٠٠ مهورة بامضاء القائد داماس رئيس أركان حرب جيش الشرق

(٤) ترقيته الى رتبة جنرال

وفى ٢٨ فبراير سنة ١٨٠١ دخل الأسطول الانجليزي مياه أبو قير وانزل جيوشاً إلى البر فاضطر القائد مينو الرحيل عن القاهرة لدفع الخطر وأقام الجنرال بليار حاكما على القاهرة وزوده بالتعليمات التي يتبعها إذا زحف عليها الجيش التركي ثم دعا الكولونل يعقوب ورقاه إلى رتبة « جنرال » باسم الجمهورية الفرنسوية وألبسه شارتها الذهبية بنفسه حسب المتبع وذلك في مارس سنة ١٨٠١ وسلمت اليه براءة هذه الرتبة في ٢٦ ابريل من السنة عينها

www.alkottob.com

مركز يعقوب الاجتماعي

قلنا أن يعقوب أحرز ثروة كبيرة وقد أشار فيفان دينون إلى ما كان ليعقوب من جاه وثروة فوصف إحدى الحفلات التي أقامها للقائد ديسيه وضباطه وأركان حربه فقال :ـ

« حسب عادات البلاد كانت القاعات التي استقبلنا فيها مفروشة بالحصر والسجاد والارائك وعلى جوانبها المساند وقدم لنا المقدم الماء المثلج الممزوج بالروائح العطرية ثم الشبكات فالقهوة . وبعد نصف ساعة مُدّ سماط كبير وصفّت على جانبيه ثلاثة أنواع أو أربعة من السكباك والفطير وصفّت وسط السماط أصناف الفاكهة والمربيات والألبان وكان معظمها لذيذ الطعم وذا رائحة زكية . وقد تذوقنا منها كلها حتى أتينا على ما في المائدة في دقائق . وبعد ساعتين وضع على السماط الخبز وطواجن الأرز الدسم الممزوج باللبن وانصاف الخراف المشوية وأرباع العجول ورؤوس هذه الانعام مسلوقة وأكثر من ستين طبقاً كدست عليها أصناف عدة أخرى

www.alkottob.com

من أنواع الخضر والفالوزج والفطائر والعسل النقي

«وبعد غسل الأيدي تطيبنا بماء الورد ثم قدمت الشبكات والقهوة وحال محلنا على البساط فريق من أهل البلاد ثم أتى بعدهم غيرهم وبعد ذلك جاء دور الخدم والحشم حتى أتوا على آخره

«وفي الواقع أن يعقوب كانت له حاشية كبيرة تضم أمناء أسرار وصيارفة ورؤساء خدم وحجاباً يحملون العصى ذات الأيدي السكرية من ذهب أو فضة وقواصة يفسحون الطريق أمامه وغيرهم من الخدم الذين يؤدون الخدمات الصغيرة فخادم للشبك وآخر للركاب وثالث للمباخر الخ ويتراوح عددهم بين ثمانين ومئة وكان يملك الجياد والبغال التي تحمل الأثقال والجمال والسرج المطعمة بالمعادن الثمينة وفي منزله كثير من النساء الخادمات اللاتي يقمن بالخدمات المنزلية والجواري السودانيات والحبشيات .

« ويطول بنا الكلام إذا وصفنا كل ما كان يحيط بالمعلم يعقوب من مظاهر الأبهة والمجد أما هو فقد ازداد علماً وارتفعت

www.alkottob.com

منزلته وكتب له القدر أن يصعد دائماً مدارج العلا وأن يثبت للعالم أن جل مراده هو تحقيق أمنيته الوحيدة فى خدمة الوطن ورفع شأنه »

وفاء يعقوب

لما عاد ديسيه إلى فرنسا بعد معاهدة العريش التحق بالجيش الذى كان يحارب في النمسا وشهد موقعة مارنجو وهي التي انتصر فيها الجيش الفرنسوى ولكنه قتل فيها فى ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠

ووصل خبر قتله إلى الجيش فى مصر بعد ذلك بثلاثة أشهر فأقيمت حفلة عسكرية لذكراه فى يوم ٢ نوفمبر سنة ١٨٠٠ شهدها المعلم يعقوب بملابسه الرسمية محاطاً بحرسه الشرفي ورجال فرقته وكان أشد جميع القواد حزناً عليه

ولما علم أن الجيوش تكتتب بالمال لاقامة تمثال لديسيه فى باريس كتب الى الجنرال مينو كتاباً باللغة الفرنسوية هذه ترجمته : ـ

www.alkottob.com

« من يعقوب القائد العام للفيلق القبطي الى القائد العام مينو

« فى هذا الوقت الرهيب الذى يشعر فيه كل امرء بعظم خسارة الجمهورية بفقد ديسيه المقدام الذى بذل نفسه فى سهول مارنجو اسمحوا لى وأنا رفيق ديسيه فى أعماله بالصعيد بأن أنثر عن بعد بعض الزهور على ضريحه وأسكب العبرات التي هي ترجمان الحزن الذى شملني ويعجز لساني عن التعبير عنه وأنى لى أن أجد كلمات تكفى لاظهار مقدار التياعي »

« ديسيه ! ديسيه ! انهم يقيمون لك أثراً فى فرنسا فيعقوب الذى كنت تحبه ويعزك كنفسه سيدفع ثلث نفقات ذلك الأثر بمفرده بالغة مابلغت . وإذا بقي هذا الاثر شاهداً بأخبار الوقائع والحروب التى خضت غمارها لاسترجاع الصعيد من أيدى المماليك واخضاعه فسيعلم الخلف منه أن يعقوب القبطي حارب إلى جانبك واستحق اجلالك واعزازك وقد أخلص لك ووهبك فؤاده من زمن مضى »

المعلم يعقوب

www.alkottob.com

مغادرة يعقوب للقطر المصرى

فى ٢١ مارس سنة ١٨٠١ دارت رحى معركة أبو قير بين الجيش الفرنسوى والانكليز كان النصر فيها حليف هؤلاء واتصلت قواتهم بالترك وزحفوا على القاهرة فسلمها بليار صلحاً وتم الاتفاق في ٢٧ يونيه سنة ١٨٠١ على اخلاء الفرنسويين لمصر وكان من شروط هذا الاتفاق السماح لكل من يروم من سكان مصر بالخروج مع الجيوش الفرنسوية . وخرج فعلا كثيرون .

أما الجنرال يعقوب فوطن النفس على مرافقة الجيش الفرنسوي وفى صبيحة يوم سفره دعا اليه زملاءه الاقدمين المعلمين جرجس الجوهرى وأنطون أبو طاقيه وفلتاؤس وملطي وكاشفهم بعزمه على مغادرة القطر المصرى فسلموه سندات السلفة لكى يسعى فى فرنسا إلى استردادها

وفى ١٤ يوليه سنة ١٨٠١ خرج بليار من القاهرة على رأس ١٣٧٣٤ من الضباط والعساكر قاصداً الاسكندرية وبينما

www.alkottob.com

كان فى طريقه أرسل اليه قبطان باشا حسن قائد الجيش التركي كتاباً يرجو منه فيه بالحاح أن يقنع الجنرال يعقوب بالبقاء فى القطر المصري للانتفاع بخدماته ولكن هذا لم يقبل

وقد خرج من القاهرة مع الفرنسويين عدد من الجنود القبط ولكن يظهر مما رواه الشيخ عبد الرحمن الجبرتى أن بعضاً منهم عادوا إلى القاهرة فوصلوها فى ١٧ أغسطس سنة ١٨٠١

يوم الرحيل

نزلت جنود الحملة الفرنسوية إلى البوارج الانكليزية لتقلها إلى فرنسا وآخر بارجة أبحرت من المياه المصرية هي البارجة لا بلاس La Pallas وقد أقلت الجنرال بليار قائد الحملة وهيئة أركان حربه و ٣٥٠ جندياً وكان معهم الجنرال يعقوب ووالدته السيدة مريم غزال وقرينته مريم نعمه وكريمته منّه وأخوه حنين وابن أخيه غبريال سيداروس وأخوه وأقرباء آخرون وعدد كبير من الخدم

ونخص بالذكر من الاقرباء الذين رافقوه الياس بقطر

www.alkottob.com

صاحب القاموس الفرنسوى والعربى ويقال انه ابن أخي يعقوب

وكان من ركاب البارجة أيضاً بعض من أعيان المصريين ومنهم لطفي غره وجورج عقيده الذى كان مديراً لجمارك القاهرة ونقولا الكاكيني وفرج خوري وشقيقه ميشيل ابنا شقيقة قرينة الجنرال يعقوب ويوسف جباره

فأبحرت هذه البارجة بهم فى ١٠ أغسطس سنة ١٨٠١ وبقى الجنرال يعقوب واقفاً على ظهرها ينظر إلى الشواطىء المصرية إلى أن غابت عن عينيه

الأيام الأخيرة من حياة يعقوب

وقد كان يعقوب يؤمل أن يصل إلى فرنسا لا ليعيش فيها ويقطع صلته ببلاده بل ليتقرب إلى حكومتها بما كان له من منزلة فى نفوس القابضين على أزمة شؤونها ثم ليتخذ من ذلك وسيلة إلى خدمة وطنه بالمشروع الذى كان يشغل فكره ألا وهو استقلال مصر

www.alkottob.com

ولكن الاقدار قطعت عليه أحلامه اللذيذة وسارت رياحها على غير ماتشتهي سفينة آماله فقضى في البارجة يومين اثنين ثم أصيب بمرض خبائي لزم لأجله الفراش ولم يطل مرضه سوى أربعة أيام

وفي اليوم الخامس من الرحيل أدرك الجميع ان حالته تزداد خطورة كما شعر هو بدنو أجله فقابل الموت ببسالة وبقي متنبه العقل إلى آخر لحظة فأوصى بكريمته منّه وودّع والدته وأقاربه وطلب أن يرى الجنرال بليار ليكلمه فأسرع اليه ولما رآه وقف منتصباً ولكن قواه خارت فسقط على سريره فانحنى بليار ليعلم منه ما يريد الافضاء به اليه فكانت آخر كلمة خرجت من بين شفتيه هي أن توضع جثته بجانب ديسيه في مقبرة واحدة . وأسلم الروح وكانت الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ١٦ أغسطس سنة ١٨٠١

ولما وصل نبأ وفاته إلى قومندان البارجة سجل في يوميتها وفاته والموضع الذي كانت فيه البارجة وقت الوفاة (وهذه كانت الطريقة للاشتراك في الحزن) ولقد دون في

www.alkottob.com

البحارة الانكليز بامر رئيسهم انزال الجثة .

واعترافاً بفضل رجال البارجة ومكافأة لهم على المتاعب التي تحملوها قدم شقيقه حنين حنا عند وصوله إلى مرسيليا لكل بحار هدية تعادل قيمتها ريالا

وبعد ما بقيت الجثة في المحجر الصحي نحو ٢٥ يوماً احتفل بتشييعها حتفالا فخماً أدت فيه عساكر جيش الحملة الفرنسوية التحية العسكرية وكذلك الفيلق القبطي ووصف ذلك شاهد عيان هو الطبجي لويس يوسف بريكار في يوميته فقال :ـ

« في يوم ١٨ اكتوبر سنة ١٨٠١ خرجت من المحجر الصحي جيوش الجنرال روبين وفي نفس هذا اليوم كان الاحتفال بتشييع جنازة المعلم يعقوب قائد الفيالق المسيحية في مصر وقد توفي اثناء عبور البحر . »

مثوى يعقوب

ودفن يعقوب في مقبرة كانت ملحقة بالكنيسة القديمة للقديس مارتان ثم نقلت جثته الى الجبانة الجديدة المعروفة

www.alkottob.com

بجبانة القديس شارل ثم نقلت في سنة ١٨٦٥ الى جبانة القديس بطرس فى مدفن عائلته ودفنت بجانبه كريمته التي توفيت فى سنة ١٨١٢ وعمرها ١٩ سنة تحت ظل النخيل الذى غرسه احفاده حول نصب المقبرة لتعيد ذكرى شاطيء النيل

تقدير العظماء ليعقوب

ويظهر قدر يعقوب من شهادات العظماء والمؤرخين واليك بعضاً منها :-

(١) كتاب من القائد العام بونابرت (نشر بصفحة ٢٤٨ من تاريخ نقولا الترك) قدر فيه شجاعة الجنرال يعقوب قدرها ووعده باعلاء مرتبته

(٢) كتاب فى ١٢ مارس سنة ١٨٠١ من الجنرال مينو يقول فيه :

« لو لم يكن الامر بحاجة الى شيء آخر غير الشجاعة يا يعقوب لاستصحبتك معي لانى واثق من انك من أشد المحاربين بأساً ولكنك تمتاز بصفات أخرى اكثر نفعاً من

www.alkottob.com

الشجاعة لذلك تركتك هنا لتسهر على مصلحة الجميع» الى ان قال «وأرجو أن تبث شجاعتك ونشاطك في القبط الذين تقودهم »

(٣) أقوال الذين كانوا في جيش الشرق عن يعقوب

قال الجنرال بليار الذى اشترك فى حملة غزو اقليم طيبه : « يعقوب القبطي يلعب الآن دوراً عظيماً في البلاد فالاهلون ينظرون اليه كالسلطان الكبير وقد كانت فرقتنا المكونة لجيش الوجه القبلى تنظر بعين الاحترام الى جيش المعلم يعقوب »

وقال فيفان دينون الملحق بحملة مصر والمرافق لقوة الجنرال ديسيه الى اصوان :

« المعلم يعقوب رجل ممتاز بمواهب عجيبة وهو مثال الامانة والاخلاص . . ويملك ثروة كبيرة كما ان له منزلة عالية فى البلاد وهو ينفق بسعة كعادة الشرقيين فى الكرم»

وكتب الجنرال مينو الى بونابرت كتابا فى ١٠ برومير السنة التاسعة للجمهورية ما يأتى :

« إنى وجدت رجلا ذا دراية ومعرفة واسعة اسمه

www.alkottob.com

المعلم يعقوب وهو الذى يؤدى لنا خدمات باهرة ومنها تعزيز قوة الجيش بجنود اضافية من القبط لمساعدتنا »

وقال المسيو جورج ريجو أحد الكتاب الحديثين « أن كفاءة المعلم يعقوب المالية هى فوق كل مناقشة »

وقال الأستاذ محمد صبرى فى مؤلفه تاريخ مصر الحديث المطبوع فى سنة ١٩٢٦ ما ملخصه :

« ان يعقوب فى بداية الاحتلال الفرنسوى التحق بخدمة الفرنسويين الذين دخلوا مصر أصدقاء يحملون راية جديدة هي راية الحرية وبارح مصر على رأس وفد مصرى مؤلف من أعيان القبط وكانت فكرته الاساسية مخاطبة انكلترا فى أمر استقلال مصر ولكن وفاته العاجلة فى الطريق قضت فجأة على مشروع مفاوضة دول أوربا فى ذلك الاستقلال »

www.alkottob.com

مشروع الجنرال يعقوب للاستقلال مصر

وهنا نأتي إلى أمجد صفحة في تاريخ الجنرال يعقوب فانه في اليومين اللذين أقامهما في البارجة قبل مرضه اتصل بقائدها القومندان جوزيف ادموندس « Joseph Edmonds » وأخذ يحدثه بما كان يجول في نفسه من مستقبل بلاده فلقي من القومندان إصغاء واقبالا عليه واهتماماً بحديثه لأنه عرف قدره وأدرك أنه زعيم قومه فوثق به يعقوب وكاشفه بما أعده من مشروعات لاستقلال مصر

وكان حديثه مع القومندان سراً لم يحضره سوى سكرتيره المدعو لاسكاريس ولما توفي يعقوب تولى لاسكاريس تدوين ذلك الحديث في مذكرات قدمها إلى القومندان ادموندس وبسط فيها مشروع الاستقلال ونوع الحكومة الوطنية التي تؤلف في ظل هذا الاستقلال وطلب من القومندان أن يبلغها للحكومة الانكليزية كما أنه أرسل إلى بونابرت الفصل الأول مذكرة بامضاء «غرافندى» بالنيابة

www.alkottob.com

عن الوفد المصرى ومذكرة ثالثة إلى المسيو تالران « Talleyrand » وزير الخارجية الفرنسوية طالباً منه أن يستقبل هذا الوفد ليبسط له شفوياً الغرض الذى يسعى اليه

وقد نفذ القومندان ادموندس ماطلب منه فأرسل كتاباً إلى اللورد الأول للبحرية الانكليزية وأرفق به مذكرات لاسكاريس المشار اليه وبقيت هذه الوثائق محفوظة فى وزارة الخارجية الانكليزية إلى أن عثر عليها من سنوات كما قدمنا

أقوال المؤرخين بعد اكتشاف الوثائق

وقيض الله فى هذا العصر من كشف عن هذه الصحيفة المجيدة فى تاريخ الجنرال يعقوب إذ عثر الأستاذ شفيق غربال فى سجلات وزارتى الخارجية الانكليزية والفرنسوية على ما يثبت أن يعقوب فى سنة ١٨٠١ لما تبع الجيش الفرنسوى إلى فرنسا كان قصده تحقيق مشروع خطير هو الحصول على اعتراف الدول باستقلال مصر

www.alkottob.com

وقد أشار إلى هذه الوثائق فى مؤلفين له أحدهما باللغة الانكليزية وعنوانه «The Beginning of the Egyptian question» والثانى باللغة العربية وعنوانه «الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر فى سنة ١٨٠١» وقد طبع فى سنة ١٩٣٢ . كما أشار اليها غيره من قبله

وقال الأستاذ شفيق فى هذا الصدد ما يأتى : —

« بدأت بعد العثور على هذه الأوراق فى تكوين رأى آخر فى يعقوب وفى طبيعة علاقته بالفرنسيين . خدمات يعقوب للحكم الفرنسي من نوعين : خدمات من نوع ما كان يقوم به للفرنسيين جرجس الجوهرى وملطي وابو طاقيه وغيرهم من كبار الاقباط اساسها السعي للنفع الشخصى من جهة والخلاص من جهة أخرى مما كانوا فيه من امتهان لا يرفعهم من حضيضه ما ملكوه من مال وجاه ولا يفارقهم مهما زادت حاجة الحكام اليهم . وخدمات من نوع آخر اساسها التمهيد لمستقبل البلاد السياسي بالتمهيد المؤقت للحكم الغربى

« ومن حقق النظر فى أحوال الشعوب الشرقية الخاضعة

www.alkottob.com

لحكم السلطان اثناء القرن التاسع عشر يجد ان الطوائف غير الاسلامية منها نظرت فى أول الأمر للتدخل الغربي فى شئونها بالعين التى نظر بها يعقوب فى آخر القرن الثامن عشر . أول ما فى تأييد يعقوب للتدخل الغربي تخليص وطنه من حكم لا هو عثماني ولا مملوكى وإنما هو مزيج من مساوىء الفوضى والعنف والاسراف ولا خير فيه للمحكومين ولا للحاكمين اذا اعتبرناهم دولة قائمة مستمرة. فرأى يعقوب ان أى نوع من أنواع الحكم لا يمكن أن يكون أسوأ مما خضعت له مصر قبل قدوم بونابرت . وثاني ما فى تأييده للاحتلال انشاء قوة حربية مصرية (قبطية فى ذلك العهد) مدربة على النظم العسكرية الغربية — ونحن نسلم بان هذه القوة كانت أداة من أدوات تثبيت الاحتلال وبانه لولا هذا لما سمحت السلطات الفرنسية بانشائها وتسليحها وتدريبها — غير انه يلزمنا أن نذكر أيضاً أن الدلائل كلها كانت تدل على ان هذا الاحتلال لن يدوم وأن القائد كمبر نفسه الذى أذن بانشاء القوة القبطية كان لا يرى البقاء فى مصر وانه لهذا حاول

www.alkottob.com

كما نعلم ـ الجلاء عنها بعد اتفاق العريش فى يناير سنة ١٨٠٠ ذلك الاتفاق الذى كان له بعض العذر فى نقضه وسنبين في موضع آخر من هذه الرسالة ان بعض أصدقاء يعقوب من الفرنسيين اهتموا بمستقبل القوة الحربية القبطية أكثر مما اهتموا بحاضرها وانهم كانوا يحبون ان يروها على حال من البأس يجعلها العنصر المرجح في مستقبل مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها (١)

---

(١) يشير بهذا إلى ما قاله فى الصحيفة ٣١ من رسالته وهو: « رأى لاسكاريس ان مصر يجب أن تستقل وانها خليقة بالاستقلال بحكم موقعها وتاريخها ومواردها ورأى ان الحكومة الفرنسية يجب أن تعمل على تحقيق استقلال مصر إذا ماقررت الجلاء عنها بأن تقوي الفرقة المصرية تحت قيادة يعقوب وأن تعدها بحيث تكون العنصر المرجح فى تقاتل العثمانيين والمماليك على تملك هذه البلاد وأشار أيضاً بأن يترك الفرنسيون اذا ما اضطروا للجلاء ذخيرة حربية وقوة فرنسية يظهرون انها عاصية ترفض الانسحاب مع بقية الجيش ويدعونها تنسحب نحو الأقاليم النوبية تفتحها وتهبط منها على مصر عند اللزوم — وقد اجتذب لاسكاريس الى مشروعه هذا فرنسيين آخرين سجل التاريخ من اسمائهم مارسل المستشرق والضابط ديبا حاكم القلعة واتصل بالمصرى يعقوب وجعل فرقته القبطية قاعدة الاستقلال »

www.alkottob.com

« كان وجود الفرقة القبطية إذن أول شرط أساسي يمكن رجلا من افراد الامة المصرية يتبعه جند من أهل الفلاحة والصناعة من أن يكون له أثر فى أحوال هذه الامة اذا تركها الفرنسيون وعادت للعثمانيين والمماليك يتنازعونها ويعيثون فيها فساداً على الرغم من أنه لا ينتمى لاهل السيف من المماليك والعثمانيين وبغير هذه القوة يبقى المصريون حيث كانوا بالأمس : الصبر على مضض أو الالتجاء لوساطة المشايخ أو الهياج الشعبي الذى لا يؤدى لتغيير جوهرى والذى يدفعون هم ثمنه دون سواهم ـ وهنا الفرق الاكبر بين يعقوب وعمر مكرم . يعقوب يرمي الى الاعتماد على القوة المدرّبة والسيد عمر يعتمد على الهياج الشعبي الذى تسهل اثارته ولا يسهل كبح جماحه والذى قد يصل سريعاً لتحقيق أغراض حاسمة ولكنه لا يصلح قاعدة للعمل السياسى الدائم المثمر . فكما ان العامة سريعة الهياج فى أوقات الخلل واضطراب الحكم فهي أيضاً سريعة التقوط خصوصاً اذا اصطدمت بجند مسلحين حتى ولو كان أولئك الجند من نوع ما كان فى مصر فى

www.alkottob.com

أوائل القرن التاسع عشر من ترك والبانيين وما ماثلهم

«وقد رأينا ما كان من أمر السيد عمر لما وجد أمامه محمد على لا خورشيد — هذا الفرق بين الأداة التي اختارها يعقوب وتلك التي اختارها السيد عمر ليس فى الواقع إلا مظهراً لفروق أعمق . إذ ما حاجة هذا السيد نقيب الاشراف إلى جيش — والرجل لا يتصور مصر إلا خاضعة لحكم المماليك تحت سيادة السلطان ولا يرمى إلى أبعد من أن يملى إرادته على القائمين بالامر فيها مدافعاً عن أفراد الرعية كلما زاد الفساد وهو بهذا يكفيه قيام أهل القاهرة واجتماع كلمة العلماء — أما يعقوب فله شأن آخر إذ أنه لا يريد عودة المماليك والعثمانيين وإنما يعمل على أن تكون لفئة من المصريين يد فى تعزيز مصير البلاد بدلا من أن يبقى حظهم كما كان فى الحوادث الماضية متصوراً على التفرج أو الاشتراك فى نهب المهزومين : ذكر الجبرتي فى حوادث المحرم سنة ١٢١٨ في كلامه عن إشتباك الالبانيين بالترك الوالى العثماني خسرو — ذلك الاشتباك الذى انتهى آخر الامر بولاية محمد

www.alkottob.com

على ـ ذكر ان الالبانيين كانوا يقولون للعسامة من أهل القاهرة « نحن مع بعضنا وأنتم رعية فلا علاقة لكم بنا . أنتم رعية تخضعون لمن ينتصر منا . هذا كل ما لكم »

أراد يعقوب أن يكون الامر غير ذلك وعول على أن تكون القوة الحربية المصرية الجديدة مدربة على النظم الغربية فكان سباقا إلى تفهم الدرس الذى ألقاه انتصار الفرنسيين على المماليك أو قل إلى ادراك ما أدركه محمد على بعد قليل من أن سر انتصار الغربيين فى جودة نظمهم وبخاصة نظمهم العسكرية فسرق البرق من الآلهة وكان له ما كان » أ هـ

وفى سنة ١٩٢٤ نشرت الجمعية الجغرافية الملكية بعنوان « مصر المستقلة ـ مشروع سنة ١٨٠١ ـ وثائق لم تنشر قبلا وجدت فى محفوظات وزارة الخارجية فى لندن » (وهي الوثائق التى يقول الاستاذ شفيق غربال فى رسالته أنه عثر عليها هو أيضاً فى هذه المحفوظات) ـ مقدمة باللغة الفرنسوية بقلم المسيو جورج دوان نقتصر على نقل الفقرة الآتية منها وهذه ترجمتها :

www.alkottob.com

« والذى نروم أن نذكره وننبه اليه هنا على ضوء الوثائق التى وجدت حديثاً فى محفوظات وزارة الخارجية الانكليزية هو أن فكرة الاستقلال المصرى التى نشأت فى ظل حملة بونابرت كانت قد خطرت منذ فجر القرن التاسع عشر للمصريين فان واحداً منهم وهو المعلم يعقوب القبطي أعرب عنها بلسانهم الا أن موته قبل الأوان في أغسطس سنة ١٨٠١ حال بينه وبين عرض هذه القضية والدفاع عنها أمام وزارات أوربا »

وثائق مشروع الاستقلال

الملحق الاول [1]

من القبطان جوزيف أدموندس ربان السفينة الحربية

---

1 Captain Joseph Edmonds of His Majesty's Ship Pallas to the Earl of Saint-Vincent first Lord of the Admiralty. Minorca 4th. October 1801.
Foreign Office Records, 78. Turkey, vol 33. Traduction française, Douin. "L' Egypte Indépendante" pp. 1-3.

www.alkottob.com

بالاس .

للأرل أوف سانت فنسنت اللورد الاول للبحرية الانجليزية .

على ظهر السفينة بالاس

جزيرة منورقه فى ٤ اكتوبر ١٨٠١

سيدى

أبحت لنفسى أن أرسل لكم المذكرات المرفقة بكتابي هذا اعتقاداً منى بأنه قد يهم حكومة بلادي أن تعلم أن أشخاصاً يسمون أنفسهم بالوفد المصرى يقيمون فى باريس فى الوقت الحاضر .

كان ممن ركب في مصر السفينة بالاس تحت إمرتي رجل قبطي ذو سمعة حسنة جداً وهو من زعماء طائفته وله فيها نفوذ كبير . وقد منحه الفرنسيون لقب جنرال لينالوا تأييده .

عنيت بعض العناية بهذا المنفي السيء الحظ مما جعله يحادثني فى شئون بلاده . وقد صرح لي بأنه يعتقد أن أى

www.alkottob.com

أنواع الحكم فى مصر أفضل من حكم الترك لها وأنه انضم للفرنسيين تلبية لباعث وطنى عله يخفف عن مواطنيه ماقاسوه وان الفرنسيين خدعوهم وان المصريين فى الوقت الحاضر يحتقرونهم كما كانوا يحتقرون الترك وانه لم يفقد بعد آماله فى خدمة بلاده وان ارتحاله لفرنسا قد يمكنه من هذا . وقال أيضا ان الفرنسيين جعلوه يعتقد أن دولتهم لها قوة السيطرة فى أوربا وأنه لم يعرف إلا قليلا عن قوة انجلترا البحرية ولكنه كان يعرف رغم هذا أنه بلا موافقة انجلترا فان رغبته فى قيام حكومة مستقلة فى مصر لن تتحقق. وأضاف صديقه لاسكاريس — وهكذا وصف نفسه — وكان يترجم أقواله لي أن الجنرال المعلم يعقوب يرأس وفداً فوضه أو عينه أعيان مصر لمفاوضة الدول الاوربية فى أمر استقلالها .وأثناء سفرنا مات الجنرال وقام الترجمان (لاسكاريس) بتحرير مذكرات أحاديثنا المرفقة بكتابي هذا .وقد أعرب لي الجنرال قبل موته عن رغبته فى أن أبلغ موضوع هذه الاحاديث لقائد القوات البريطانية الأعلى كي تعلم به الحكومة البريطانية بواسطته .

www.alkottob.com

وقد قرر لى المسيو لاسكاريس أن الوفد لم يزل باقياً وان المفوضين الآخرين على ظهر السفينة بالاس لا يزالون أعضاء فيه . هذا وانى لم أتمكن من أن أتبين هل هو واحد من هؤلاء المفوضين أو أنه ليس إلا سكرتيراً مترجماً له . وأعتقد من كلامه أنه رجل خيالى [1] . وأظنه بيدمونتي الأصل وسمعت أنه من أولئك الفرسان الذين تركوا جزيرة مالطة وتبعوا جيش بونابرت . وقد أعطيت ميثاقي للمعلم يعقوب بأن أمتنع أنا والحكومة البريطانية من استعمال ما أبلغنا إياه استعمالا يؤذيهم . هذا ولما كان من المحتمل جداً ذهاب هذا الوفد الذى لا يمكننى تقدير مدى ما يبيده من تفويض للاقامة في باريس فقد رأيت وجوب تبليغكم هذه المذكرات والأحاديث مباشرة . إذ قد يمضى بعض الوقت قبل أن أجد فرصة لابلاغها أولا لرئيسى اللورد كيث . وأرجو أن تتنزلوا فتقروا مسلكى هذا .

ولى الشرف . . . الخ

1. From his conversation I believe him to be of a speculating mind."

www.alkottob.com

الملحق الثانى [1]

مذكرات مرفوعة للقبطان أدموندس لتذكره فى الوقت المناسب له برؤوس أهم الموضوعات التي تبادلناها فى أحاديثنا السياسية على ظهر سفينته

(١)

الخطاب المرفقة به هذه المذكرات موجه للورد النبيل [2] وقد يظهر لاول وهلة أنه ليس إلا رجاء بسيطاً عادياً في الاهتمام بنا معشر المصريين التعساء . ولكنه يجب أن يعتبره فى الحقيقة ملخص الاحاديث السياسية التى دارت بيننا على

---

(١) المذكرات التي يتألف منها هذا الملحق مرفقة بالكتاب السابق وهي في نفس السجل الذي بيناه عن الملحق الأول .

Texte français, Douin op cit. pp, 5-12,

بهذه المذكرات « بياض » فى عدة مواضع وبها أيضاً جمل تحتها خط وهذه المواضع مبينة هنا كما في الأصل .

(٢) الظاهر أن لاسكاريس ظن أن ادموندس قد يكتب أولا لرئيسه المباشر اللورد كيث لامباشرة الى اللورد الأول للبحرية كما فعل

www.alkottob.com

ظهر السفينة. هذا ولما كان الاسهاب فى شرح خطتنا فى الوقت الحاضر أمر أقل ما فيه الرعونة فان هذه المذكرات القصيرة المكتوبة على عجل قد تكفى على الاقل لتذكيرك بأهم موضوعات أحاديثنا ، ومتى حان زمن ابلاغك إياها إما مباشرة لحكومتك أو للورد النبيل فالمصريون لوثوقهم بما انطوت عليه سجيتك يدعون لحسن فطنتك بعثه على الاهتمام بأمرهم . حتى يكون لنا مما يكتبه للوزارة البريطانية أو مما يقوم به عند عودته لانجلترا مسند نستند إليه لدى حكومته وليثق بأنه سينتصر لقضية فيها منافع لامته . وأى قضية أليق منها بسعى لورد نبيل مثله !

(٢)

وإذا سلمنا بأن ما سيعرضه الوفد المصرى لدى الحكومات الاوربية على تلك الحكومات باسم المصريين الذين فوضوه قد يظهر قليل الاهمية أمام أعينها فلتعترف معنا على الاقل — أيها القبطان — أن الدول لن تعمل أبداً عملا أمجد وأنبل من أن تبدد بقرار سياسى واحد ظلمات الجهل

www.alkottob.com

والوحشية التى تكاثفت على هذه البلاد الذائعة الصيت . تلك البلاد التى كانت مهد استنارتنا وعلومنا وفنوننا . تلك البلاد التى يمكن القول عنها إجمالا انها كانت موضع قيام الحضارة التى نقلها اليونان عنها ومن اليونان وصلت الينا وإذا عجزت مصر بعد زوال عزها وازدهارها عن أن تثير شعوراً بعرفان صنيعها وما قدمته من خير فتثير على الاقل عطف الدول الأوربية عليها حتى إذا ما كان ذلك وردوا اليها أمرها أمكنها أن ترضي جميع الدول التى تطمع فيها ولا تصاب بسبب ذلك أى واحدة منها فى مصالحها .

(٣)

وقد يحل زمن ليس بالبعيد ترضى فيه الدولة البريطانية عن هذا الحل (للمسألة المصرية) . . . وفى هذه الاثناء قد تقترحه عليها الحكومة الفرنسية . عندئذ يجب على الحكومة الانجليزية أن تعلم أن الاقتراح نتيجة جهود الوفد المصرى فعليها إذن أن لا يريبها أمره . . . فان المصريين [1] . . . ولا

---

(١) جملة غير تامة فى الأصل .

www.alkottob.com

نظن أن فرنسا تتقدم بهذا المشروع السياسى إلا على سبيل المجاراة والواقع أن تحقيقه ليس فى صالحها كما هو فى صالح انجلترا . ومما لا شك فيه أن حكومة الجمهورية الفرنسية لا تزال على ما كانت عليه من الرغبة فى تملك مصر .

(٤)

تتداعى الامبراطورية العثمانية فى جميع أجزائها للانحلال ويهم الانجليز إذن قبل حدوث هذا أن يدبروا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل لهم الاستفادة من هذا الحادث المهم عنه وقوعه . وإذا تبين لهم استحالة استمرارهم بمصر — كما استحال هذا على فرنسا — (فلهم عوضاً عنه) خضوع مصر المستقلة لنفوذ انجلترا صاحبة التفوق فى البحار المحيطة بها . وليس من شك فى أن الاستقلال يعيد لمصر رخاءها . ولكنها لن تكون إلا دولة زراعية تستمد غناها من الحاصلات الوفيرة التى تنتجها أرضها الخصبة ومن كونها المخرج والمدخل الوحيدين لتجارة افريقية الوسطى . ولا بد من أن انجلترا بحكم مركزها فى الهند تهتم جداً بالمتاجرة مع

www.alkottob.com

مصر وما حولها من المناطق فتستفيد بذلك أكبر استفادة مما اختصت به مصر من المزايا

(٥)

وكان مراد بك يقول — وربما كان على حق في قوله — أن كفار الغرب (كذلك سمى الأمم الأوربية) قد صاروا يعرفون مصر أكثر من اللازم وان الكل يسعى لامتلاكها وأنها ستكون داعما شار اختلافهم . قد يقال أن انجلترا لا حاجة بها إلى ذلك الامتلاك إذ أن سيادتها البحرية تحتم أن تكون كل تجارة مصر فى يدها وأنها بذلك يكون لها ماتريد من نفوذ في مصر . ولكن ماذا يكون من أمر هذا النفوذ إذا رجعت فرنسا كما كانت حليفة الباب العالى الطبيعية وأخذت الدولة العثمانية تجرى على سياسة ارضائها أكثر من ارضاء انجلترا ؟ ألا تمضي الدولة في هذه الخطة فتغلق أبواب مرافئها فى وجه الانجليز ؟ أليس من الممكن أن يضغط الفرنسيون على الترك براً فيحملوهم على الامعان فى عدائهم للانجليز وتحطيم تجارتهم في أراضى الشرق الأدنى وفي

www.alkottob.com

البحر الاحمر ؟

(٦)

أما عما يختلج نفوس المصريين من عواطف نحو الفرنسيين فمبعثها ما اتبعه هؤلاء من طرق فى حكمهم أثناء احتلالهم البلاد . ولا حاجة بى للكلام فى هذا لأنى أعتقد أنك تتذكر بسهولة مادار بيننا من حديث فيه . كل شىء إذن يبرهن — الأسباب السابقة ، وما يشعر به المصريون نحو الانجليز بعد أن أمكن لهم تقديرهم حقاً — ان مصر المستقلة لاتستطيع إلا أن تكون موالية لانجلترا . فعلى هذه إذن أن تسمح سياسيا على الأقل باستقلالها هذا إذا لم تستطع تأييده بعد حدوثه . على هذه النقطة مانتوقعه من حوادث فى المستقبل .

(٧)

فرضنا أن حكومات الدول الاوربية سمحت باستقلال مصر . كيف يحكم المصريون أنفسهم ؟ وكيف يدافعون عن استقلالهم ؟

www.alkottob.com

(١) لايسمح لنا تعجلنا فى تحرير هذه المذكرات بتفصيل الخطة التى يفكر فيها الوفد المصرى لحكم البلاد ويكفى الآن أن نلاحظ أن المسألة هنا ليست مسألة انقلاب منشؤه استثارة الأمة واحتكاك آراء فلسفية بعضها ببعض. لايقوم نظام الحكم الجديد على شىء من هذا. بل تضع قواعده الظروف القاهرة وتخضع له رعية مسالمة جاهلة لايعرف أفرادها الآن، أو يكادون لايعرفون إلا عاطفتين خلقيتين: المصلحة والخوف. فان أمكن الحكومة الجديدة (وليس هذا بالأمر العسير) أن ترفه من عيش الناس بعض الشىء وأن تزيد كسبهم قليلا فمن المحقق أنها تجد منهم نصراء متحمسين. أو ليس أي نظام أفضل من الاستبداد التركى؟ لتكن إذن الحكومة الجديدة عادلة حازمة وطنية كما كانت حكومة الشيخ همام العربى فى الصعيد (وقد حدثناك عن تاريخه) ونثق عند ذلك بأنها ستحترم وتطاع وتحب.

(٢) كيف يدافع المصريون عن استقلالهم؟ ماذا يصنعون لو اعتدت عليه دولة أوربية؟ لانتوقع حدوث شىء

www.alkottob.com

من هذا إلا بعد زمن طويل وعند ذلك يكون قد تم تنظيم الجيش الوطني وجعله بحيث يستطيع رد الاعتداء. اما ان كان الاعتداء من جانب الترك أو المماليك فانا نعتقد ان الدول الأوربية تحظر عليهم مس استقلال مصر. هذا من جهة ومن جهة أخرى فان المصريين يمكنهم أن يستخدموا جيشاً أجنبياً من ١٢٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠ جندي وينفقوا عليه. ويكفي هذا الجيش الاجنبي لصد الترك عند حد الصحراء ولسحق المماليك في مصر نفسها ويكون هذا الجيش الأجنبي أيضاً نواة الجيش الوطني. هذا ولما نعده من تأثير الذهب في العثمانيين وأنهم لا يعملون أي عمل إلا للحصول عليه فاننا نستطيع ردهم عن مصر ببذله لهم. وكان المماليك يستخدمون المال كلما رأوا سحب السياسة تتلبد في القسطنطينية وتنذرهم بشر مستطير.

وينبغي ألا يفوتنا أن نذكر ان المصريين منقسمون بين عدة طوائف وان هذا الانقسام يتيح الوسائل لدفع هذه الطوائف بعضها ببعض فتتكافأ بذلك قواها. والوفد المصري صلات بهذه الطوائف على اختلافها ولا ينحاز لواحدة منها

www.alkottob.com

دون الأخرى . وهذه الصلات مستورة وستظل مستورة تماما عن الحكومة التركية فى مصر ولا بد من هذه الحيطة ازاء حكم مستبد يأخذ الناس بالشبهات . ولو عرف الترك حقيقة الامر لما ترددوا فى الفتك بإخوان الاستقلال عن آخرهم . والذين هجروا مصر مع الجيش الفرنسى من هؤلاء الاخوان قد تحدوا غضب الترك (وأمنوه) ولكن اخواننا فى مصر حالهم غير هذه . هم تحت السيف والعصا . فليس أمامهم إلا المواربة والظهور بمظهر عبيد السلطان المخلصين .

(٨)

سيبذل المصريون عامة ووفدهم لدى الحكومات الاوروبية (خاصة) كل ما يستطيعون من جهد لتخليص أنفسهم بشكل ما من النير الذى يثقل حمله على بلادهم التعسة ولكن إذا خاب سعيهم وشاء القدر أن يملك الترك هذه الاقاليم الجميلة الشهيرة وعرضها بذلك لتجدد الاغارات عليها وجاءت معاهدات الصلح العام بين الدول على عكس ما يشتهون فأقل ما يرجوه المهاجرون المصريون من الدول

www.alkottob.com

المتعاهدة أن تدبر لهم ضمانا يقيهم على الاقل، إذا عادوا لوطنهم شر انتقام الترك منهم.

(٩)

هذا ولو أن الوفد المصرى لدى الحكومات لن يعمل إلا فى تحقيق مشروع سياسى فيه نفع جميع الحكومات بما فيها الحكومة التركية (وليس تضميننا الحكومة التركية على غرابته من شطط القول فانا يمكننا البرهنة على صحته) فقد تعرض أحوال لا بد فيها من المحافظة على سر المفاوضة لذلك فانا نرفق بهذا «شفراً» يستعمل في مراسلاتنا عند الحاجة اليه.

(١٠)

ويرى الوفد المصرى حرصاً على تحقيق ما يصبو اليه من إبلاغ المفاوضة غايتها لزوم كتمان أمر ما فاتحناكم فيه من ممهدات لها وما قد تبلغونه للورد النبيل عن فرنسا وعن أي امرىء في مقدورد عرقلتها. وذلك أن خطة الوفد أن يسعى فى أوربا كى تكون فرنسا البادئة بعرض المقترحات الاولى (الخاصه بالاستقلال) على انجلترا. وتكون انجلترا عندئذ

www.alkottob.com

قد اقتنعت (وهذا الاقتناع ثمرة أحاديثنا معكم وسعي اللورد) بما في الاستقلال المقترح من مزايا سياسية فتؤيده . وبهذه الطريقة لا يتعرض الوفد المصرى لأن يرى الحكومة الانجليزية ترفض المشروع تحت باعث من نفور الأمتين إحداهما من الاخرى أو حذر دسيسة من دسائس الجمهورية (الفرنسية) . .

(١١)

هذا وكي تسهل مراسلتنا ونحن فى فرنسا أو فى غيرها من البلاد يمكنك أيها القبطان أن ترسل ماتريد للسنيور الكونت أنطون كاسيس المقيم فى تريستا وهو يتولى إرسال الرسائل حيث يقيم الوفد ، على أن يوضع تحت عنوانه عنوانى . أما ما قد يرسل لى (من غيركم) من انجلترا فان وصولنا إلى باريس يذيع أمرنا فلا تصعب معرفة أين أقيم . وبهذا يسهل تسلمى ماقد تكتبه لى الحكومة (الانجليزية) ولكن تلزم الحيطة التامة فى هذا الأمر حتى لا تثار شكوك

www.alkottob.com

الحكومة الفرنسية بالمرة .

على ظهر السفينة بلاس فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٠١

الملحق الثالث [1]

من عمر افندي بالنيابة عن الوفد المصرى للقنصل الاول بونابرت [2]

إلى القنصل الاول للجمهوريه الفرنسية من الوفد المصرى الكثير الحب له . محجر مارسيليا فى أول فنديمير من السنة العاشرة (٢٣ سبتمبر ١٨٠١)

---

1. Archives du Ministère Etrangères de Turquie "Correspondance", vol. 203. Auriant "Mercure de France", 15 Juin 1924 pp. 593-594.

بهذه الوثيقة أيضاً بياض فى عدة مواضع بيناها هنا كما فى الأصل .

2. Nemir Elfeudi (pas Hemir, Comme l'a transcrit M. Auriant) au Premier Consul. Il y a un Lofty (sic. Lotfi) Nemir parmi les émigrés Egyptiens à Marseilles voir Homsy. op. cit. p. 141.

www.alkottob.com

١٨ صفر سنة ١٢١٦ (١)

في أيام العالم الأولى ، في تلك العصور البعيدة المجهولة. عند ما كانت فرنسا لا تختلف كثيراً عما صورته الطبيعة ولا يظهر منها للناظر إلا جليد وغابات ، كانت مصر الزاهية المتحضرة تلقى دروس العلم والعرفان على متشرعي الاغريق ثم دار الفلك دورته وشاء القدر أن يفد مصريو اليوم الحاضر أحفاد معلمي الحضارة بالأمس إلى فرنسا وهي تحت حكمك الخالد الذكر ليدرسوا نظم أمة يحبونها ويتعرفوا ما اهتدت اليه من وسائل لاعيد لغيرها من الامم بها ، تلك الوسائل

حرف المسيو أوريان فى نقله هذه الوثيقة اسم الموقع عليها الى « همير افندى » . وقد قرأتها نمير افندي ووجدت فى أسماء المهاجرين المصريين فى مرسيليا اسم لقطى (أي لطفي) نمر وصناعته مترجم لغات شرقية (راجع كتاب حمصى ص ١٤١) . واذا تذكرنا ان النون والميم فى نمر ينطق بها فى بعض اللهجات متحركة بالكسرة سهل علينا فهم كتابة هذا الاسم بالحروف الفرنسية هكذا Nemir

(١) كذا فى الأصل . و ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠١ توافق ١٥ جمادى الأولى .

www.alkottob.com

التي مكنت جمهورية ناشئة من صيانة ما كسبته فى ميدان الحرب بما استحدثته من نظم سياسية جديدة . . وكما أن صولون عند عودته لبلاده من مصر شرع للاغريق ، كذلك الوفد المصرى الذى فوضه المصريون الباقون على ولائهم لك سيضع لمصر ما ترضاه لها من نظم عند ما يعود لها من فرنسا. يكون هذا أيها القنصل الأول إذا تنزلت من أجل مجدك ولنفع الجمهورية السياسى فمددت يد المساعدة للمصريين البؤساء الذين حطمت فى الماضى أغلالهم والذين عادوا ينوءون بها من جديد وأحسنت استقبال وكلائهم فى باريس . وفى العاصمة سيكون استقبالنا حفلا شرقياً يجدد ذكرى فتح عظيم ناته ثم فقدته . ولا بد أنك تحس إحساساً شديداً بألم ما فقدت فأمر فى معاهدات الصلح العام أن تكون مصر مستقلة تعوض عليك خسارتك مائة مرة . هذه هي أمانينا وهذا ما أخذنا على أنفسنا ميثاقا به .

عن الوفد المصرى

وكيله

نمر افندى

www.alkottob.com

(حاشية [١]) أغا الانكشارية [٢] وعضو الوفد ؛
الذى عرفته أيام ان كنت فى القاهرة يرجو منى أن أعيد لك
ذكر ماشرفته به من عطفك عليه) ن . ا

الملحق الرابع [٣]

من عمر افندى لوزير الخارجية الفرنسية (تاليران)

(نفس التاريخ كالملحق السابق)

سينزل فى مرافىء الجمهورية الفرنسية عدد غير قليل من

---

1. Ce post - scriptum a été omis par M. Auriant dans sa transcription du document. Il se trouve dans le texte original comme suit :-

"L'aga des janissaires et membre de la legation, connu de vous au Kaire, m'ordonne de la rappeler au souvenir des bontés dont il a été honorées par vous". N. E.

(٢) المقصود من هذا عبد العال أغا الذى ارتحل مع الجيش الفرنسى في سنة ١٨٠١

3. Nemir Effendi au Ministre des Relations Extérieures, 1 Vend (v) au X Archives du Ministére des Affaires Etrangeres, Turquie Correspondance vol. 203
Auriant : op. cit, pp. 594-595

www.alkottob.com

مهاجرين شرقيين تركوا بلادهم مع ذلك الجزء من جيش الشرق الذى تم جلاؤه عن مصر . والوفد المصرى بالرغم من أنه قد حرم من رئيسه الجنرال يعقوب الذى مات أثناء السفر يعلن كل ما يحس به من ولاء وحب للجمهورية الفرنسية ويرى من واجبه أن يلجأ اليك أيها الوزير لتتفضل وتضعه هو وهؤلاء المهاجرين في كنفك وتقول له كما يقول بدوى الصحراء لضيفه « كن فى أرضك [1] »

كان لويس الرابع عشر يعمل فى الظاهر لضم كنيسة الحبشة للكنيسة الرومانية ولكنه كان يسعى فى الواقع لمد نفوذه السياسى نحو أقاليم أفريقية الوسطى الجذابة الخفية فبذل جهوداً كثيرة غير مثمرة ليعلم فى فرنسا شباناً من المصريين وعلى الأخص من القبط فان بطريرك هؤلاء هو في الواقع بابا الاحباش . لم ينجح الملك فى سعيه هذا . واليوم نرى الجمهورية الفرنسية تحت حكم القنصل الأول تحقق دون عناء

---

(١) فى الأصل مايأتي :—

1 ... et lui accorder, comme disent les Arabes du désert, votre fiardae d'hospitalité",

www.alkottob.com

ما عجزت عن تحقيقه ـ اللهم إلا الجزء الضئيل منه ـ الملكية الفرنسية المطلقة وقد بلغت منتهى القوة الاستبدادية . هذا والوفد المصرى النائب عن الأمة المصرية لدى الحكومة الفرنسية يمثل وحده كل ما يجول فى نفوس مفوضيه الكثيرين من شعور بصالح الجماعة وما يملأ أفئدتهم من أمانى وما يملكون من اصالة تدبير ونفوذ وثروة ويعبر عما أجمعوا عليه من رغبتين : الأولى سحق القوة الغشوم التى تستبد بهم من جديد، والثانية، وضع املهم فى فرنسا ، اعتقاداً منهم أن مصلحة الجمهورية الفرنسية ذاتها تقضى عليها أن لا تخيب أملهم. تتقدم اليك إذن أيها الوزير برأى : تكبدت فرنسا فى الشرق خسارة عظيمة ، لم لا تتخذ من هذا الوفد وسيلة لتعوض ما فقدته ؟ إنك ان تفضلت فدعوت الوفد لباريس قبل توقيع الاتفاق التمهيدى مع انجلترا فأنا نستطيع أن نؤكد لك أن فرنسا تحتفظ للأبد بنفوذها السياسى فى الشرق وتدرأ عنه ما قد يفقدها إياه زمنا طويلا من أثر الجلاء عن مصر وما آل اليه أمرها الآن وسعى الدول التى تخشى بحق علو كلمة

www.alkottob.com

فرنسا . بل نستطيع أن نؤكد اكثر من ذلك . نستطيع ان نؤكد أن فرنسا أذا ارادت يمكنها بواسطة أمة لن تكون الا موالية لها مد نفوذها نحو أواسط افريقية. وهكذا يتحول تركيز مصر الانجليز من حادث نحس إلى منبع مجد للقنصل الأول ورفاهية لأقاليم فرنسا الجنوبية .

ولا يرى الوفد المصرى فى الوقت الحاضر فائدة فى الاسهاب ، فهو يستطيع فى جلسة واحدة فى باريس أن يبين عن مقاصده ما لا يستطيع فى عشرين مذكرة سياسية . ونحن العرب نقدر فى الكلام على ما نشاء وان كنا فى الكتابة لا نبلغ إلا جهد المقل . هذا الى اننا غير غافلين عما توجبه علينا كثرة شواغلك السياسية من الاجمال فى الرسائل ونرجو التفضل بالرد على كتابنا هذا . وأن تسمح لنا إن تفضلت باستقبالنا فى باريس أن نقابلك بزينا الشرقى. فالمسلمون منا يشق عليهم خلع زيهم ، وفضلا عن هذا فهذه الأزياء الشرقية قد تذكر القنصل الأول بفتوحه وراء البحار وترضى المستطلعين ممن لم يتبعوه للشرق

www.alkottob.com

والوفد المصري يعلم أن وقت القنصل الأول الذى تصدر عن إرادته أمور الحكم حتي فى جزئياتها وتستظل الدولة فى ظله الظليل أعن من أن يصرفه فى التفكه بقراءة ما يرد اليه من الرسائل الخاصة ولكننا نرجو أن يقدر أن وفدنا جديد فى بابه وأنه يصل الى فرنسا فى ظروف خاصة وأن كتابنا له [1] المرفق بهذا له ما له من أهمية فيتنزل لتسلمه منا ويتأمله بحكمته البعيدة الغور

الخاتمة

أولا — أشهر رجال الفيلق القبطى

(١) الكولونل غبريال سيداروس

ونختم هذه الرسالة بذكر أشهر رجال الفيلق القبطي وما آل إليه أمره بعد رحيله إلى فرنسا . لقد تسلم قيادة هذا الفيلق بعد وفاة الجنرال يعقوب إبن أخيه الكولونل

---

(١) المقصود من هذا الكتاب المنشور في الملحق الثالث .

www.alkottob.com

غبريال سيداروس . ولد غبريال بالقاهرة فى ٢٣ ابريل سنة ١٧٦٨ وكان وقت مجيء الفرنسويين فى خدمة المماليك إذ التحق بدائرة ابراهيم بك الكبير وتولى مدة سنتين إدارة أشغال محمد بك الألفي ثم عين بوظيفة دليل فمترجم فوكيل للقائد كليبر فوكيل فى فرقة الجنرال ديسيه فى أول فندمير من السنة السابعة للجمهورية . واشترك مع الجنرال بعقوب فى موقعة جرجا المشهورة وهي التي انهزم فيها الثوار من البدو والمماليك شر هزيمة حتى أيدوا عن آخرهم وقد هنأه الجنرال بيار بهذا النصر وسعى فى سبيل منحه رتبة ضابط . وامتاز بمحاربته حسن بك الجداوى الذى مات جريحاً فى موقعة أصوان فى ١٦ مايو ١٧٩٩ وفي أول بريال من السنة الثامنة للجمهورية عين رئيساً لفرقة فى الفيلق القبطي وقد منحه الامبراطور نشان صليب اللجيون دونور (جوقة الشرف) مكافأة على خدمته فى قيادة فرقته فى واقعة راجوز Ragusa فى ٧ يوليه سنة ١٨٠٦ . وكانت هذه الفرقة فى طليعة الجيش الذى كان يحارب الجنود الروسية في الجبل

www.alkottob.com

الأسود ولولا مساعدتها لانهزم هذا الجيش الذي كان على شفا جرف من الانكسار وتقدمت ألوية الثناء لرجال هذه الفرقة لما أظهروه من البسالة والاقدام . وكان جبريال يقود الفرقة ومنحت الأوسمة له ولثلاثة من ضباطه منهم القبطان القبطي حنا هرقلي وأبلغ اليه الامر بكتاب من مارمونت في ١٨ أغسطس سنه ١٨٠٦ جاء فيه : « هذه الأوسمة هي مكافأة على السلوك الحسن لفرقة الشجاعة في يوم راجوز » . وفي يوم ١٨ مايو سنة ١٨٠٨ عين كولونيلا ثم أحيل إلى الاستيداع في سنة ١٨١٤ . وقد شهد في سنة ١٨١٥ موقعة واترلو وامتاز فيها بالاقدام والشجاعة وأحيل إلى المعاش في سنة ١٨٤٠ ومات في مارسيليا في ٢١ اكتوبر سنة ١٨٥١ كما جاء في المحفوظات الادارية بوزارة الحربية الفرنسية

(٢) حنا هرقلي

ولد حنا هرقلي في منفلوط وعين في شهر برميال من السنة الثامنة للجمهورية رئيس كتيبة في الفيلق القبطي وهو حامل لنشان اللجيون دونور (جوقة الشرف) على أثر

www.alkottob.com

الانتصار فى واقعة راجوز وكان عمره ٣٣ سنة فى أول يوليه سنة ١٨٠٩

(٣) عبد الله منصور

ولد عبد الله منصور فى القاهرة وعين فى أول شهر برمهات سنة ٨ الجمهورية رئيس كتيبة فى الفيلق القبطي وكان عمره ٣٧ سنة فى أول يوليه سنة ١٨٠٩

(٤) بقايا الفيلق القبطى

عدا هؤلاء الثلاثة الذين اشتهروا فى فرقة (مطاردى[1] الشرق) وهي التي ألفت بمرسوم أصدره بونابرت فى ١٧ فنتوز من السنة العاشرة للجمهورية — كان يوجد فى هذه الفرقة عند تسريحها بأمر وزارة الحربية الفرنسوية فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٨١٤ من الاقباط ٦ جاويشية (Sergents) و٣ أونباشية (Caporaux) و٤ سواري (Carabains) و٥ مطاردين (Chasseurs)

---

(١) Les Chasseurs d'Orient

www.alkottob.com

الجنرال يعقوب واستقلال مصر

فهرست

صفحة	
٣	صورة الجنرال يعقوب
٥	المصادر العربية للكتاب
٦	« الفرنسية «
٧	كلمة تمهيدية
	أولا — نشأة يعقوب
١٠	مولده
١١	فى الكتاب
١١	إجتهاد يعقوب
	ثانياً — يعقوب فى معترك الحياة
١٢	يعقوب الكاتب
١٣	يعقوب الفارس
١٣	المعلم يعقوب

www.alkottob.com

صفحة	
١٤	زواجه
١٥	المعلم يعقوب فى التاريخ
١٦	أعماله المالية والادارية :
١٦	حملة الصعيد
١٩	مع كليبر
٢٠	في مواصلات الحملة
	ثالثاً ـ أعماله الحربية
٢١	مع المماليك
٢٢	مع الفرنسويين
٢٣	الفيلق القبطي
٢٧	فى ثورة القاهرة
٢٩	قلعة يعقوب
٣٠	قرض قبطى للجمهورية الفرنسوية
	رابعاً ـ الهدايا والانعامات ليعقوب
٣١	اهداء يعقوب سيفاً

www.alkottob.com

صفحة	
٣٢	اهداء يعقوب كسوة شرف
٣٢	ترقية يعقوب الى رتبة كولونيل
٣٣	ترقيته الى رتبة جنرال
٣٤	مركز يعقوب الاجتماعى
٣٦	وفاء يعقوب
	خامساً ـ رحيل يعقوب
٣٨	مغادرة القطر المصرى
٣٩	يوم الرحيل
٤٠	الايام الاخيرة من حياة يعقوب
	سادساً ـ وفاء يعقوب
٤٢	حفظ جثمان يعقوب
٤٢	الاحتفال بالجنازة
٤٣	مثوى يعقوب
٤٤	تقدير العظماء ليعقوب

www.alkottob.com

صفحة	
	سابعاً — استقلال مصر
٤٧	مشروع الجنرال يعقوب لاستقلال مصر
٤٨	أقوال المؤرخين بعد اكتشاف الوثائق
٥٥	وثائق مشروع الاستقلال
	ثامناً — الخاتمة
٧٧	أشهر رجال الفيلق القبطي
٧٧	الكولونيل غبريال سيداروس
٧٩	حنا هرقلي
٨٠	عبد الله منصور
٨٠	بقايا الفيلق القبطي

مطبعة التوفيق بمصر
٢٠٠٠ / ١٩٣٥

www.alkottob.com